

المحادثة بين المعطى التداولي والسوسiolساني : قراءة تفاعلية في آليات التحليل

ط.د. فايد ليندة¹ ، أ.د. نؤارة بوعباد²

¹ مخبر الممارسات اللغوية ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر

lynda.faid@ummto.dz

² جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية ، الجزائر ، nouara.bouayad@univ-bejaia.dz

النشر: 2025/12/26

القبول: 2025/12/08

الإرسال: 2025/09/05

الملخص:

تُعدّ المحادثة من أبرز أنماط التّواصل البشريّ، إذ تُمثّل سلوكًا لغويًا يُمارَس بين الأفراد والجماعات لتحقيق مقاصدٍ خطائيةٍ متعددة الأبعاد. وقد نُظر إلى هذا النمط التّواصليّ من زوايا بحث مختلفة الاختصاصات .

في هذه الورقة البحثيّة، نسعى إلى مقارنة المحادثة من منظور مزدوج، يجمع بين البعد التّداولي والبعد السّوسiolساني، سعيا إلى فهم طبيعة هذا السلوك اللّغوي: هل تنحصر وظيفته في التّواصل المباشر فقط؟ أم أنه يمتد لتحقيق أبعاد اجتماعيّة أعمق؟ سنحاول ملامسة هذه الإشكالية في ضوء مقارنة تكاملية، تعتبر المحادثة تفاعلاً تواصلياً، متجذراً في بنيّة اجتماعيّة وثقافيّة محكمة.

الكلمات المفتاحية: المحادثة ؛ التّداوليّة ؛ السّوسiolساني ؛ الهويّة ؛ التّفاعل .

**Conversation Between the Pragmatic and Sociolinguistic
Dimensions: An Interactive Reading in the Mechanisms of Analysis**

* المؤلف المرسل.

Abstract: Conversation is one of the most prominent forms of human communication, representing a linguistic practice through which individuals and groups pursue multiple discourse purposes. This communicative mode has been approached from various disciplinary perspectives.

In this paper, we seek to examine conversation through a dual lens that combines both a pragmatic and a sociolinguistic dimension, aiming to better understand the nature of this linguistic practice. Is its function limited to direct communication only, or does it extend to achieving deeper social dimensions? We attempt to address this question through an integrative approach that views conversation as a communicative interaction deeply rooted in a structured social and cultural framework.

Key words: conversation; pragmatics; sociolinguistics; identity; interaction.

مقدمة:

إنَّ الانطلاق من كون الإنسان مدنيّ بطبعه ، أي بفطرته وماهيّته ، أمرٌ يُخضعنا لحيمة القول بأنّه ابن بيئته الاجتماعيّة إذ لا يمكن له العيش بمعزل عن مجتمعه ، ولهذا نجدّه يتخذ سُبُلًا متعدّدة للتكيف مع هذا المجتمع ، بواسطة التواصل الذي يتخذ منه عدة أشكالٍ أو أنساقٍ تواصليّة تجعله في انسجام وتوافق ذاتيٍّ وجمعيٍّ مع مجتمعه. فاللغة شكل من أشكال التّواصل الذي تفرد به الإنسان عن سائر الكائنات الحيّة ، إذ يتخذ من اللّغة شكلًا تعبيريًا عن مقاصده وأغراضه الخاصّة ، التي قد تأتي على سبيل التّصريح بألفاظ وتراكيب ومعاني واضحة للمستمع أو لمتلقي هذا الكلام (مستمعًا أو قارئًا) ، أو تأتي على سبيل التّضمين فيضطرّ المتلقي إلى استنباط المعنى من خلف السطور (إن كان النص مكتوبًا) ، أو من خلف الكلمات (إن كان الخطاب مسموعًا).

وتعد المحادثة شكلاً من أشكال التواصل البشري بين الأفراد والمجتمعات بمختلف انتماءاتها اللغوية، فهذا شكلت المحادثة حلقة وصل بين العديد من الفروع العلمية التي يطرح فيها التواصل البشري انشغالا بارزا، واهتمام الدارسين والمختصين لها بمختلف المآخذ العلمية، حيث تعددت الرؤى وزوايا النظر كل حسب درجة انشغاله ودرجة استيعاب التخصص لها، ومن هذا المنطلق نحاول تسليط الأضواء في هذه الورقة البحثية على مكانة المحادثة وآليات تحليلها وفق معطيات التحليل السيوسولساني والتداولي في الوقت ذاته، كمقاربة مزدوجة نحاول فيها كيفية فهم هذا السلوك اللغوي وفق استقراء مجموعة من المعطيات انطلاقاً من الإشكالية التي مفادها: هل يتوقف مفهوم المحادثة عند حدود التواصل البشري فقط؟ أم أنه يمتد ليحقق أبعاداً أخرى تكون في تماسٍ مع المعطى الاجتماعي؟ وإلى أي مدى تُجسّد الهوية اللغوية، والانتماء الجمعي للأفراد من خلال سلوكهم اللغوي؟ وإلى أي حدٍ يمكن المزاجية بين المعطى التداولي والسوسولساني لبناء توافق مفاهيمي دقيق لمسمى المحادثة؟

تُعتبر المحادثة من أبرز أنماط التواصل البشري، باعتبارها سلوكاً لغوياً يُمارس بين الأفراد والجماعات، بغية تحقيق عدة مقاصد خطابية ينظر إليها من زوايا مختلفة، ووفق حقول معرفية متنوعة، وقد أُولت الفلسفة الوجودية اهتماماً خاصاً بالتواصل الإنساني، الذي اختزلته في اللغة باعتبارها السمة الأسمى التي تُميز الإنسان وبخاصة لغة التخاطب أو التحدث، التي تُعد شكلاً تعبيرياً مباشراً لحضوره في العالم. فالإنسان، من هذا المنظور، هو كائن ناطق، تتجسّد فيه اللغة من خلال النطق والتعبير، بخلاف الكائنات الأخرى التي تملك أنماطاً تواصلية، لكنها تقتصر إلى البعد الخطابي الرمزي الذي تنفرد به اللغة البشرية. فمثلت اللغة المنطوقة على وجه التحديد، حيزاً واسع الانشغال في فكر الفلاسفة منذ الوجود الأول للفلسفة، وبداية نشوئها فارتبطت بمباحث اللغة والفكر، فبرزت كجدلية واسعة النقاش بين أسبقية اللغة عن الفكر، هل تسبق اللغة الفكر؟ أم أنّ الفكر يسبق اللغة؟

يرى بعض الفلاسفة أنّ اللغة إنّ بقيت في ذهن الإنسان، فهي مجرد نظام رمزي وعلاماتي وهي بذلك مجرد تصور ذهني، وهذا ما أكدّه دي سوسير في لاحقٍ من الزمن في مسلّمته: اللغة نظام من العلامات، أما الكلام فهو التجسيد الفعلي والتأدية الفردية لهذا

النظام الرمزي، وهي الصورة الصوتية المتحققة في الواقع¹، ومن هنا تنتقل اللغة من الحيز الذهني إلى حيز التفاعل.

ينطلق فلاسفة الفكر من المسألة القائلة: بأن اللغة ما هي إلا وعاء للفكر، وهي نظام رمزيّ مستودع في ذهن كل إنسان، حتى غير الناطق (الأبكم) فهو الآخر يمتلك هذا النظام في بعده الذهني، غير أن وظيفة هذا النظام لا تكتمل إلا عند تحققه صوتياً، أو الناطق به عند النطق العادي، فيتجسد على شكل مقاطع صوتية ذات دلالة، أو في صورة متواليات صوتية خطية (أفقية)، وهي السمة التمييزية للوحدات الصوتية في السلسلة الكلامية، مشكلة في ذلك معانٍ و دلالات بغرض التواصل وهذا ما سمي بالتحدث أو الكلام أو الحوار²، ومن هذا المنطلق يكون الكلام في موضع انتقال من المجرد إلى الملموس.

انطلاقاً من التصور الفلسفي واللساني الحديث للغة، بوصفها بنية ثنائية تتكوّن من وجهين: الأول نظام رمزيّ علاماتيّ، والثاني تأدية فعلية هي الكلام، يمكن فهم موقع الأبكم ضمن هذه المعادلة، فالأبكم وإن عجز عن النطق، يظل مفكراً ضمن البعد الأول (يفكر بالوجه الأول) للغة وهو النظام الرمزي الكامن في الذهن، أما تأديته لهذا النظام فيتخذ شكلاً آخر يتمثل في الإشارات والحركات والإيماءات، أي عبر رموز غير لفظية، تُعدّ هي الأخرى أنماطاً من اللغة التعبيرية البديلة³، وتكون هنا اللغة الرمزية امتداداً للغة التعبيرية من خلال أداء وظيفة تواصلية، وهنا يبرز سؤال جوهري هل تتحقق مقصدية التواصل في هذا النوع من التعبير؟

تبقى الإجابة رهينة بمدى استعداد المتلقي لفهم هذا الشكل التعبيري وتقبله له كنمط تواصلٍ مشروع، فالمقصدية، على وجه التحديد، تظل مرهونة بمدى إلمام المتلقي بلغة الإشارة، أو نمط التواصل الخاص بالصم والبكم، إذ لا تتحقق شروط الفهم والتفاعل إلا عند من يمتلك هذا الرصيد الرمزي، بينما يبقى هذا النمط التعبيري معطلاً أو غير فعال عند من يجهله، مما يجعل مقصدية الخطاب محصورة في دائرة تواصلية خاصة.

لم يتوقف الفكر الإنساني عند حدود المعطى الفلسفي، بل امتدّ بامتداد المعارف وتنوع مآخذها لتشمل معظم حقول المعرفة الإنسانية، التي جعلت من الإنسان محورا للتفكير، ومركزا للتساؤل، وأحاطت كل ما يخصّ تواجهه بالمساءلة ووضعه تحت سلطة المكاشفة لمحاولة فهم هذا الكيان العقلاني، ومن بين أبرز مُتّاحات التساؤل نجد:

تُطرح حتمية السلوك اللغوي اليوم، كإحدى القضايا الجوهرية في ساحة البحث اللساني، نظراً لما تحمله من أبعاد اجتماعية وتواصلية تتجاوز الاستخدام الآلي للغة. ومن هذا المنطلق، سنحاول في هذا العمل تسليط الضوء على نمطين من التحليل يبرزان في تناول هذا السلوك، بدءاً بالتحليل السوسiolساني الذي يركّز على العلاقة بين اللغة والمجتمع، ووصولاً إلى التحليل التداولي الذي يعاين اللغة بوصفها فعلاً تواصلياً يحمل قصداً ومعنى داخل السياق.

1. المحادثة من منظور اللسانيات الاجتماعية

إنّ اعتبار الإنسان ابن المجتمع فهو بالضرورة يؤثر فيه ويتأثر به، إذ يكون في تواصل مستمر مع مجتمعه على اختلاف سبل التواصل وأشكاله. وتعتبر المحادثة وفق هذا الإطار "مؤسسة اجتماعية تضم بداخلها كلّ الممارسات التي تنظم دور الكلام في مجتمع معين"⁴، وهذا يعني أنّ المحادثة لا تُفهم فقط باعتبارها تفاعلاً لغوياً، بل تمثل أيضاً صورةً للممارسات الكلامية الخاصة بمجتمع لغويّ معين، تُحدّد فيها أدوار المتكلمين، وتنظم علاقات التداول ضمن ما يُعرف بـ "دورة الكلام". وبهذا المعنى، تكتسي المحادثة صبغة اجتماعية بامتياز، تجعل منها انعكاساً حقيقياً للبنى والتمثيلات التي تحكم الفعل اللغوي داخل الجماعة، تخضع لمسلّمات وقوانين يحكمها العرف الاجتماعيّ أو ما يسمّى بالشفرة أو السنن الاجتماعية المتوافق عليه ضمن خصوصيات كل مجتمع لغويّ، وفي هذا السياق تنتظم الدورة الخطابية (المحادثة) ضمن نسق اجتماعي تتحقق من خلاله مقصديات المحادثة من تفاعل ومنفعة أو إخبار، وتعد المحادثة نمطاً من أنماط التواصل الشفهيّ بين أفراد المجتمع وأكثر من ذلك فهي: "سيرورة اجتماعية لا تتوقف عند حدّ بعينه، سيرورة تتضمن عدداً هائلاً من السلوكيات الإنسانية والإيماءات والتّظرة والمحاكاة الجسدية والفضاء الفاصل بين المتحدثين، ولهذا سيكون من العبث الفصل بين التواصل اللفظي وغير اللفظي"⁵، فالمحادثة تُعبر عن حمولة اجتماعية تتجاوز الألفاظ، وتمثل في جوهرها المخزون والسلوك الاجتماعي للفرد. يُنظر إلى المتكلم في المحادثة بوصفه مرآة تعكس مجتمعه وعشيرته اللغوية، فليست المحادثة مجرد تفاعل شفويّ تواصليّ فقط، بل هي حمولة فكرية ولغوية واجتماعية وإنسانية في الآن ذاته، بالرغم من أنّها نمط شفهيّ لكنها لا تخلو من النمط التواصلية الرمزي، الذي من خلالهما تتحقق العملية التواصلية بنجاح، فالتلفظ وحده لا يمكن أن يتم في محادثة قصيرة أو طويلة، دون أن يتدخل النمط الرمزي والحركي في دعم الحبكة الكلامية

واسترسالها، حيث يغلب على بعض أنماط الشخصيات المتحاورَة النمط الحركي، فيكون خطابها مشبعًا بالإيماءات وحركات اليد والنظرات كأدوات تعبيرية ترافق القول وتمنحه طاقة إضافية في التواصل والتأثير.

يستأنس المتحدث حديثه بحركات الوجه (كرفع الحاجب، وحركات العينين)، فهي تكون بمثابة محاكاة الجسد للقول، وهي نوع من التفاعل غير اللفظي أثناء دورة المحادثة. تُعد المحادثة، شكلًا من أشكال التفاعل الذي يُمارس يوميًا في مختلف المواقف الاجتماعية، والأوساط التخاطبية (البيت، الشارع، أماكن العمل، وسائط التواصل الاجتماعي وفي فضاءات التعلم ...)، والمحادثة من منظور اللسانيات الاجتماعية هي شكل تفاعلي باعتبار "الكلام ليس وصفًا فقط بل هو شكل من أشكال الفعل الاجتماعي"⁶؛ ومن هنا تُفهم المحادثة بوصفها فعلًا اجتماعيًا مركبًا، يساهم في بناء العلاقات بين الأفراد وتكريس الهويات اللغوية والانتماءات الاجتماعية، مما يجعل المحادثة أداة فعالة في تشكيل الملامح الثقافية للمجتمع، وموقع الفرد داخله.

تتجاوز المحادثة حدود التفاعل اللفظي وتبادل أطراف الحديث، إلى كونها عملية معقدة تحمل في طياتها العديد من الأبعاد غير التواصلية، فهي ليست مجرد تبادل للمعلومات بل تفاعل ذاتي تسعيان إلى التفاهم العقلاني من خلال اللغة"⁷؛ فهي حدث لغوي منظم، تحكمه سلسلة من القواعد التي تحكم عملية الحديث منها: السياق اللغوي والحدث الاجتماعي والهوية والسلطة، وقد عرفت اللسانيات الاجتماعية على أنها "حدث تواصل طبيعي يتم بين فردين أو أكثر، يخضع لسياقات ثقافية واجتماعية معينة وتُمارس فيه اللغة، بوصفها أداة تفاعل وإنتاج للمعنى"⁸؛ فيُنظر إلى المحادثة كوسيلة لبناء المعنى المشترك بين المشاركين، فتعتبر وسيلة فاعلة لإظهار العلاقات الاجتماعية وبنائها، وسيلة لتشارك الموروث الاجتماعي، وتشكيل الهوية اللغوية، والثقافية، والجمعية لأفراد المجتمع الواحد، بناءً على ما يتميز به كل مجتمع من خصوصيات واختلافات.

وباعتبار المحادثة شكلًا جوهريًا من أشكال التفاعل البشري، فهي تشكل بنية تراتبية وتخطبية⁹، ينتظم فيها الخطاب وفق سَنَن منسقة، فتُبنى المحادثة حسب التحليل السوسولوجي، على مجموعة من المكونات والمبادئ تتمثل في:¹⁰

- **التداول الدوراني**؛ أو ما يعرف بالتناوب، وهو مبدأ يوضح طريقة وكيفية تناوب المتحدثين الحديث بطريقة منتظمة، بهدف تجنب التداخل الكلامي، مما يجعل الحديث أكثر

قابلية للاستماع الجيد، وضمان الفهم الدقيق والتأويل الصحيح للكلام. وهنا يكون الكلام في حركية وعلى شكل سيروية يتبادل فيها المشاركون أخذ الكلام، وفق نسق تخاطبي يفرضه نوع الحديث.

● **الإشارات الخطابية؛** أو ما يسمى في التداولية بالمؤشرات الكلامية، وهي عناصر لغوية تساعد في تنظيم الحوار وتوجيهه، وربط الجمل وبناء المعاني والدلالات الصريحة منها أو الضمنية، وتختلف هذه المؤشرات من مجتمع لغوي إلى آخر مثل: "يعني"، "شوف"، "أصلاً"، "اسمعي"، "ركز معي"، "أنت معي"....، وقد تكون بمثابة روابط لغوية أو للتنبيه، أو للانتقال من موضوع إلى آخر، وغيرها من الأغراض التي تُساق لها هذه المؤشرات.

● **التصحيح الذاتي؛** وهو مبدأ يُعتمد في المحادثة، إذ يلجأ إليه بعض المتحدثين في مواقف تواصلية معينة وهو عبارة عن تصحيح المتحدث لنفسه أثناء الكلام سواء على مستوى:

- التصحيح اللغوي (خطأ نحوي أو لفظي).

- التصحيح الدلالي (سوء في اختيار الكلمة).

- التصحيح التداولي (توضيح المقصد أو إعادة الصياغة).

وهو أسلوب يُعتمد أثناء الانغماس في الحديث، والتعمق فيه، كأن يتدارك المتحدث خطأه فيصححه، أو بغية تأكيد المعنى، أو إيصال المتلقي إلى الفهم والتأويل الصحيحين للكلام، كقول المتحدث: "لم أفهم شيئاً مما قلت" ثم يتدارك الخطأ بقوله: "أي لم أفهم العبارة الأخيرة"، أو التصريح بالمعنى المباشر والمراد من قوله، كأن يقول "أعد العبارة الأخيرة"، ويعتبر التصحيح الذاتي خاصية طبيعية في التفاعل الكلامي، واستراتيجية تداولية متبعة في بعض المحادثات، تُسهم في ضبط المعنى وتعزيز التفاهم بين أطراف المحادثة.

● **الافتتاح والإغلاق؛** وهي من أبرز الخصائص التنظيمية في المحادثة، وهي طريقة افتتاح المحادثة أو إغلاقها، ويتم افتتاح المحادثات بعبارات نمطية مثل التحيّة "السلام عليكم"، أو التحيّة الصبّاحية والمساءية "صباح الخير" "مساء الخير"، وتختلف العبارات من شخص لآخر، ومن مقام تواصل إلى آخر، كما تُختم المحادثة وتُغلق بعبارات معينة تُقال وتختلف من شخص إلى آخر، ومن مقام تواصل إلى آخر مثل: "إلى اللقاء" "أراكم لاحقاً" "في أمان الله" "إلى الملتقى"....، وهذا النمط من افتتاح أو اختتام

للمحادثة يدلّ على تنظيم اجتماعي دقيق، يكتسب الخصوصية الثقافية، و اللغوية، وتختلف من مجتمع لآخر. وهذه الاستراتيجية تؤدي دوراً في تحديد بداية التفاعل ونهايته، مما يسهل على المشاركين ضبط الأدوار التفاعلية¹¹.

1.1. أسس وأبعاد المحادثة في اللسانيات الاجتماعية

تتأسس المحادثة في ضوء اللسانيات الاجتماعية بربطها بالأنساق والأطر الاجتماعية، فتقوم على مجموعة من الأسس النظرية التي تجسد مجموعة من الأبعاد وهي¹²:

- **السياق الاجتماعي**؛ تعكس المحادثة شبكة العلاقات الاجتماعية بين المتحدثين وقوتها، إذ تعكس المحادثة طبيعة العلاقة بين الأطراف المتحاور، من حيث القرب أو البعد الاجتماعي، والتراتبية أو التكافؤ في المكانة فالحديث بين الأصدقاء يختلف عن الحديث بين الأقارب، أو الحديث بين الموظف والمسؤول، ويختلف بين زميلين، مما يكتسب كل محادثة طابعاً خاصاً يتميز به من نمط تواصلٍ إلى آخر، ومن فئة خطابية إلى أخرى.

- **الهوية اللغوية والاجتماعية**؛ تعكس لغة الفرد انتمائه الاجتماعي وتحدد هويته اللغوية، فأسلوب التعبير، وطريقة الكلام واللغة المستعملة، و اللهجة الخطابية تُحدد الهوية الاجتماعية لهذا المتحدث، وقد فصل "ويليام لابوف" هذا الجانب في دراساته حول التنوع اللغوي، وتصنيفه للمتحدثين بين متحدث من مناطق حضرية، وبين متحدث من مناطق ريفية على أساس الميزة، والخصوصية التي يكتسبها كلام كل فئة من هاتين الفئتين، حيث لغة الحضر والمدن أكثر سهولة واختصاراً، وبجمل تعبيرية قصيرة، وبأسلوب مباشر في بعض السياقات، في المقابل لغة القرى لغتهم ذات جمل تعبيرية طويلة، ومشبعة بالموروث اللغوي الشعبي من سجع وإيقاع لغوي خاص، وبلكنة ظاهرة، ومن خلال هذه السمات، يمكن تمييز الانتماء الجغرافي والاجتماعي للمتحدثين، مما يجعل اللغة أداةً فاعلةً في بناء وتصنيف الهويات¹³، وهنا تتجاوز اللغة صفة التعبيرية لتجسد مجموع التمثلات الاجتماعية والهوياتية.

- **اللغة والسلطة**؛ لا تقتصر المحادثة على التفاعل فقط، بل تجسد أيضاً السلطة الخطابية، كما تُوظف أيضاً كأداة لممارسة الهيمنة وتجسيد السلطة داخل الخطابات. فهي تُستخدم لإبراز المكانة والرتبة الاجتماعية للمتحدثين، مما يعكس الترتيب الاجتماعي داخل السياق التخاطبي؛ وتصبح هذه الأبعاد السلطوية أكثر وضوحاً في

السياقات الرسمية، مثل الاجتماعات، والتدوات، والمؤتمرات، والمحافل السياسية، حيث يلاحظ أنّ تنظيم الدور الكلامي، واختيار الألفاظ، وأساليب الإلقاء، تُسهم في فرض نوع من السيطرة الرمزية أو الفعلية داخل الحوار¹⁴

- النوع الاجتماعي أو الجندر*: توسّع فضاء الدراسات الاجتماعية ليشمل النوع الاجتماعي وتحديد خصائصه وماهيته في الخطابات، فتؤكد الدراسات على الاختلافات الكلامية بين النوع الاجتماعي، فالرجال يستخدمون استراتيجيات لغوية وبأنساق تخاطبية مختلفة، تبعاً للنوع، وللخلفيات الثقافية، والاجتماعية، فكلام النساء يختلف عن الرجال لما يكتسبه من خصوصية أنثوية، ومن خصوصيات أخرى بين حضريّة، وقروية من حيث أسلوب التعبير ونوع الكلمات، والصيغ والعبارات المستعملة، وحتى في نسبة استعمال الحركات والإشارات والرموز في الحديث، فمثلاً حديث الرجل أكثر اختصاراً ودقة ومباشرة، في حين حديث المرأة يتميز بنوع من الاسترسال والسجال ونوع من المماطلة والتفصيل، وطابع تعبيرى أكثر انفتاحاً ومرونة، وهذا التمييز النوعي قد أشادت به دراسات علم النفس اللغوي ودعمته اللسانيات الاجتماعية¹⁵.

2.1 خصائص ومميزات المحادثة حسب التحليل السوسiolساني

- خاصية التلقائية؛ تتميز المحادثة ببيئة التلقائية وال عفوية دون أيّ تخطيط مسبق، فهي تنشأ في قلب السياقات اليومية وتتولد العبارات والأحاديث، وتنتج العبارات والأقوال استجابةً للحالة التواصلية دون إعداد قبلي. ويتجلى ذلك بوضوح في الحوارات العارضة التي تحدث بين الأفراد، سواء كانوا على معرفة سابقة أو التقوا لأول مرة، مثل حديث شخصين في الشارع عن حرارة الجو فسيّاق ومقام التواصل هو من يولّد هذه المحادثات¹⁶.
- خاصية التفاعل المباشر؛ تقوم المحادثة على أساس التفاعل المباشر بين المتحدثين، عن طريق استجابة كل طرف لآخر، حيث تُبنى المعاني وتتولد في خضم اللحظة المشتركة بين المتحدثين، مما يجعل من المحادثة حدثاً لغوياً ونشاطاً تواصلياً حياً¹⁷.
- خاصية التناوب في الأدوار؛ وهي خاصية أساسية في المحادثة، إذ يتبادل المتحدثون الحديث بطريقة منظّمة وسلسة، باستعمال مؤشرات لغوية لتحديد متى يُبدأ المتحدث حديثه أو متى يُنهي، مثل استعمال عبارة: "هل تسمح لي بالكلام"، أو "لحظة لدي ما

أقول أو ما أضيفه "...، أو استعمال إشارات غير لغوية أو حركية كالإشارة باليد للتوقف ، أو اللجوء الى الصمت المؤقت الذي يرمز إلى نهاية الدور في الحديث. وتُظهر هذه الآليات قدرة الأفراد على احترام ترتيب الأدوار ، وضبط سير التفاعل الكلامي بشكل يُراعي قواعد التواصل الاجتماعي والثقافي¹⁸.

- **خاصية سياقية المعنى في المحادثة** ؛ لا تُفهم المحادثة بشكل دقيق وصحيح إلا من خلال السياق التواصلي ، الذي تحدث فيه (الزمان والمكان ، العلاقة الاجتماعية بين المتحدثين ، والمقام الاجتماعي...) ، فالكلمات لا تحمل معنى واحداً ثابتاً ، بل يتغير معناها بحسب السياق. فكلمة "نعم" ، مثلاً ، قد تُفيد الموافقة ، أو قد تُستخدم للتعبير عن السخرية ، أو الرغبة في إنهاء الحديث ، أو حتى للتشويش وصرف الانتباه. ويتحدد المعنى المقصود من خلال نبرة الصوت ، والإيماءات ، والسياق الخطابي الذي وردت فيه. وهذا ما يؤكد على الطبيعة السياقية والعلائقية للمحادثة .

- **خاصية استخدام اللغة غير الرسمية** ؛ يغلب على المحادثات اليومية طابع العفوية والتلقائية ، مما يجعل المتحدثون يميلون إلى استعمال لغة بسيطة وغير رسمية ، لتسهيل التواصل فيما بينهم ، ويغلب عليها استخدام تعبيرات دارجة أو عامية مثل: "واش راك؟" ، "واش حوالك؟" "لاباس؟" وغيرها ، وهذا الاستعمال مرهون بنوعية الحديث والمقام الخطابي ، إذ يختلف عن المحادثات العلمية التي يغلب عليها الطابع الرسمي أو اللغة الرسمية ، وإن كانت هي الأخرى قد تتخللها أحياناً تعبيرات دارجة ، خصوصاً في حال طغيان الطابع الحوارى أو العفوي على الخطاب.

- **خاصية التصحيح الذاتي** ؛ من الخصائص البارزة في المحادثة الشفوية قدرة المتحدث على تصحيح ذاته أثناء الكلام ، دون انتظار تدخل الطرف الآخر. فقد يُخطئ المتكلم في نطق كلمة ، أو يلاحظ غموضاً في عبارته ، فيُبادر إلى تصحيحها أو توضيح المعنى المقصود بشكل فوري. يُعد هذا السلوك مؤشراً على وعي المتحدث بمقام التواصل ، وسعيه لضمان الفهم الصحيح وتفادي سوء التأويل. فمثلاً ، قد يقول أحدهم: "كنت في... أقصد ، كنت سأوجه إلى الجامعة" ، حيث يعيد تنظيم الجملة لحفظ المعنى وتفادي الالتباس.

- **خاصية تكرار واستعمال الإشارات الخطابية** ؛ هي خاصية تظهر في المحادثات اليومية بصفة واضحة جداً ، كتكرار بعض المؤشرات الكلامية ، والتي ترد غالباً باللغة العامية ،

وهي كلمات لا تحمل معاني دلالية واضحة لكنها تُساهم في بناء المحادثة ، وتسهيل عملية تبادل الأدوار الكلامية مثل كلمة "آه""لا"، وغيرها من المؤشرات التي تردُّ بصفة عفوية أثناء الكلام ، ويُعدّ هذا النوع من التكرار عنصراً أساسياً في بناء الإيقاع التخاطبي للمحادثة اليومية.¹⁹

- خاصية الاقتصاد في التعبير ؛ تغلب على المحادثات اليومية صفة الاقتصاد اللغوي عامة ، فتميل الأطراف المشاركة في الحديث الى الإيجاز في الكلام دون الإسهاب في الشرح ، بناءً على المعرفة المشتركة فيما بينهم ، ففي كثير من الأحيان ، لا يُفصح المتكلم عن كل التفاصيل ، لأنّ المتلقّي يستطيع استنتاج المعنى من السياق ، أو من خلفية سابقة مشتركة بين الطرفين ، مثلاً "أرجعت له ذلك الشيء" فالتكلم هنا لا يضطر لشرح وتحديد ماهية ذاك الشيء الذي أعاده ، لأنّ المخاطب يدرك المقصود مُسبقاً. ويُظهر هذا النمط من التعبير كيف تلعب الذاكرة المشتركة والسياق دوراً حاسماً في بناء المعنى بأقل عدد من الكلمات.²⁰

- خاصية تنوع الأساليب الخطابية واللغوية ؛ تُعتبر اللغة أداة لتحقيق المقاصد الخطابية المتنوعة ، الصريحة منها والضمنية ، بغية التّواصل النّاجح والفّاعل بين أطراف العملية التواصلية ، فيستخدم في المحادثات اليومية التنوع الأسلوبي ، من خلال توظيف الأساليب المختلفة كأسلوب المجاملة ، والاعتذار ، الطلب ، والمزاح ، وقد يحضر أسلوب الوعيد والتهديد ويعكس هذا التنوع مرونة اللغة الشفوية وقدرتها على تكيف نفسها لخدمة الأغراض التفاعلية والاجتماعية ، في كل موقف تخاطبي.²¹

- خاصية انعكاس الهوية والانتماء ؛ كما اشرنا سابقا تعكس المحادثة الهويات الفردية والانتماءات الاجتماعية ، والدينية ، والحضارية ، والفكرية للأفراد ، بناءً على طبيعة اللغة المستعملة. فاختيار الكلمات ، ونمط التعبير ، والمستوى الأسلوبي ، والأداء الصوتي ، بل وحتى اللهجة الخطابية ، كلها عناصر تُجسّد هذه الأبعاد وتُساهم في إبراز الانتماء الهوياتي للفرد أو الجماعة. وهكذا ، يصبح السلوك اللغوي مجالاً تتجلى فيه الخصائص الفردية والاجتماعية ، على حدّ سواء.²²

- خاصية التفاوض على المعنى؛ هو أحد الأساليب الخطابية ، وتعرف اريكيوني: " التفاوض المحادثي هو كل عملية تفاعلية قد تنشأ حين يظهر خلاف بين المتحدثين حول جانب معيّن من مجرى التفاعل ، ويُقصد منه معالجته بما يتيح استمرارية الحوار"²³ ،

ويكون هذا التفاوض حول توضيح الحديث ورفع اللبس عنه وسوء الفهم ، فيشارك طرفا العملية الخطابية توضيح المقصود من الكلام وتحديد المعنى ، من خلال إعادة الصياغة أو طرح أسئلة استفسارية ، كأن يقول المتحدث: " أعطيني قلما" ، فيرد المتلقي: "أي قلم؟" "أسود أم أزرق؟" فيكون هذا التبادل في الحديث بمثابة عملية تفاوض على المعنى واستقرائه.

- **خاصية الافتتاح والإغلاق** : يعد الافتتاح والإغلاق من المكونات الأساسية للمحادثة ، وهي ميزة في المحادثات اليومية ، إذ تتميز بنمط معين من افتتاح الحديث كالتحية ونمط خاص في الاختتام: كأن يقول: " كان الحديث شيقا" ، وهذه الخاصية تعتبر من قواعد التفاعل الاجتماعي " فالخطاب لا يفهم إلا بوصفه محادثة مؤطرة في بنية من العلاقات"²⁴ ، فالخطاب يوظف وفق قواعد اجتماعية تحكم بداية الحديث ونهايته ، مما يعكس الاحترام وبناء التوافق في العلاقات الاجتماعية.

2 المحادثة من منظور المعطى التداولي

يمثل تحليل المحادثة في ضوء التحليل التداولي ، انتقالا من مقاربة بنيوية مغلقة ، وشكلية ، إلى مقاربة تهتم بدراسة اللغة من حيث الاستعمال ، وليس من حيث البنية ، فتهتم بها يحدث أثناء التفاعل اللغوي ؛ أي هي مقاربة تهتم بكيفية توظيف اللغة ضمن سياقات تواصلية ، واجتماعية " فال تواصل الإنساني لا يختزل في تبادل الكلمات بل هو نشاط دلالي واجتماعي ، ينتج المعنى داخل السياقات ويعيد تشكيل العلاقات بين الفاعلين "²⁵ ؛ ومن خلال هذا التوافق بين المعطى الدلالي والاجتماعي ، تحقق الأغراض والمقاصد الخطابية ، إلى جانب مراعاة نوايا المتكلمين ، والعلاقات بين المتحاورين ، ومراعاة السياق والمقام ، والإشارات غير اللغوية ، والظروف المحيطة بالكلام (المعايير الاجتماعية والثقافية) .

ومن هذا المنظور ، تعد المحادثة تفاعلا لغويا مقصودا ، بين طرفين أو أكثر يتم فيها استعمال اللغة ، لتحقيق أغراض تواصلية محددة ، فيضع التحليل التداولي المحادثة في قلب الفعل التواصل ، الذي عرفه "يورغن هابرماس" في قوله: " بأنه ليس مجرد تبادل للمعلومات بل هو تفاعل ذاتين تسعيان لتحقيق التفاهم العقلاني من خلال اللغة "²⁶ ، فترى التداولية في المحادثة تجسيدا فعليًا لاستراتيجيات الخطاب المختلفة ، فهي لا تدرس الجملة في ذاتها بل في وظيفتها وسياقها ومقامها ، وقد اهتم فلاسفة اللغة أمثال أوستين وسورل بالفعل الكلامي ، مؤكدين على أن كل قول يحمل في طياته فعلا "فجون سورل" يقول: "كل قول هو

فعل ، وكل فعل لغويّ ينتج ضمن نية تواصلية محددة سواء كانت مباشرة أو ضمنية ²⁷ ، لا تتحد المعاني ولا تتأسس في المفهوم التداولي ، على المُصرّح به في القول ، بل من الأقوال ما يتضمن معاني متوارية ومضمرّة ، تجعل متلقي الخطاب مضطرا الى محاولة تحليل ما وراء الكلمات والسطور ، بغية الوصول الى المعنى المقصود "إنّ التفاهم بين المتحاورين ليس فقط ما يُقال ، بل ما يفترض فهمه وما يؤدي إليه من أثار اجتماعية" ²⁸ ؛ فرغم ما تحمله الكلمات من حمولات معنوية إلا أنّها تبقى رهينة التأويل والفهم لدى المتلقي ، فالفهم والتأويل ليس "نشاطا ذاتيا خالصا بل يقوم على تداخل الأفيين ، أفق الذات وأفق الآخر ، ولا يتحقق هذا التداخل إلا عبر الحوار" ²⁹ ، فالمحادثة نشاطٌ تفاعليٌّ بين الذات المتكلمة ، بوصفها منتجة للكلام وصانعة للدلالة ، و"الآخر" الذي يتلقى هذا المنتج اللغوي ، غير أنّ عملية الفهم لا تتوقف عند حدود الظاهر من القول ، بل تقف عند أفق تأويل الآخر له ، وتبقى رهينة بسباق الكلام وظروف إنتاجه ، والمعرفة والفهم المشتركين بين الذات المتحاور .

تكتسب المحادثة في إطار التحليل التداولي طابع الديناميكية باعتبارها عملية تفاعلية مرنة ، وليست بنية جامدة وثابة ، فهي تفاعل حيّ ومتغيّر ووليد اللحظة ، يخضع لمجموعة من المتغيرات كالسياق ، والمواقف الكلامية ، وغيرها من الظروف المصاحبة لعملية إنتاج الكلام ، ومن خلال هذه الديناميكية ؛ يتحدد البعد التفاعليّ عبر مجموعة من المفاهيم التداولية ، مثل مفهوم الملاءمة: الذي هو مبدأ أساسي في التداولية ، يفيد بضرورة تحقيق الأقوال لأكبر فائدة معرفية ، وبأقل جهد تأويلي من طرف المتلقي ، وذلك بناء على الافتراضات المشتركة بين المتحدثين ، والسياق التواصليّ ، إضافة الى مفهوم مقصدية الخطاب: ويقصد بها نية المتكلم وراء القول ، وهذا ما يُعطي للخطاب معناه الحقيقي ، إذ يتجاوز المعنى المباشر (الحرفي) ليعبر عن الأغراض والمقاصد التواصلية كالإقناع ، والتأثير ؛ ومفهوم الإيحاء: الذي هو مفهوم تداولي أيضا ، يفيد بالمعنى غير مصرح به في الأقوال مباشرة ، وإنما يُحال إلي فهمه ضمينا اعتمادا على السياق ، و مفهوم الافتراض المسبق: الذي هو عبارة عن جملة المعلومات التي يفترض وجودها مسبقا في القول ، دون تصريح مباشر ، وهو مفهوم أساسي في فهم الخطاب واستمراريته ، ومفهوم أفعال الكلام: وهو عبارة عن مجموعة من الملفوظات التي تُنجز من خلالها الأفعال (الأمر ، السؤال ، الوعد ...) ، بحيث تُحدث هذه الأفعال تأثيرات فعلية ومنجزة على مستوى التفاعل التواصليّ ، وكذلك مفهوم الضمنية أو المضمّر: هو مستوى من مستويات المعنى التي لا يُصرّح به مباشرة في الخطاب ،

بل يفهم عبر الإيحاء، أو اعتماداً على السياق، وهي آلية لتقوية المعنى وتكثيفه وإيصاله بطريقة غير مباشرة³⁰.

وقد أشرت التداولية اللغة والخطاب وفق هذه المفاهيم، لجعل المحادثة أكثر ديناميكية، وأكثر توافقاً مع الحدث الكلامي، وما يقتضيه المقام التواصل. فمن خلال هذا المعطى التداولي لا نفهم المحادثة إلا من خلال بنيتها التداولية من حيث كيف تبنى الأدوار الكلامية في السلسلة الخطابية؟، وكيف يفهم الكلام من خلال التلميح؟ وما هي العلاقة بين ما يقال وما يقصد من الكلام (المضمر)؟ وهل يتوقف الفهم عند حدود التأويل لدى الآخر، وكل هذه الاشكاليات تجعل من التحليل التداولي، أداة مركزية لفهم المعنى الذي يُنتج وقت التفاعل.

وكشفت التداولية أبحاثها لتحيط بكل حيثيات الاستعمال اللغوي، في حدود التواصل الانساني. ومن أبرزها، نجد عمل "بول غرايس" التي مهدت لفهم المحادثة، باعتبارها نظاماً عقلانياً ونشاطاً حياً، قائماً على مجموعة من القواعد الضمنية (كالفعل القضيوي، ومقتضى الحال....)، التي يتقيد بها المتحدثون وبدرجات متفاوتة، تختلف من شخص إلى آخر لتكتسب هنا الخطابات خصوصية فردية، وهذا ما تجسد في ما سماه "غرايس" "بمبدأ التعاون" ومبدأ "الحدود القصوى للمحادثة"، كما نجد أعمال "هابرماس" التي لا تقل أهمية عن أعمال "غرايس"، إذ نجد نظرية الفعل التواصل، التي حاول من خلالها "هابرماس" أن يُبرز الطبيعة التوافقية للمحادثة، باعتبارها وسيلة لفهم متبادل بين الفاعلين أثناء عملية الكلام أو التواصل.

1.2 الأسس التداولية لفهم المحادثة وفق التحليل التداولي

- **سياق الكلام:** لا يفهم الكلام على وجه الدقة إلا في ضوء السياق الذي يُنتج فيه، ويتضمن السياق: المكان، والزمان، الخلفية الاجتماعية، ونوع العلاقة بين أطراف الكلام، ظروف انتاجه...، فالمعنى لا يستخلص فقط من الكلمات الظاهرة، بل من الإطار الذي يُؤطرها على سبيل المثال، قد يقال: "الجوّ حارٌّ جداً داخل القاعة"، فيفهم هذا القول، بحسب السياق، إما كتصريح بوصف حالة الطقس، أو كتلميح لفتح النوافذ، أو حتى كدعوة للخروج من القاعة لعدم امكانية البقاء فيها من الحرّ.
- **مبدأ التعاون لغرايس:** يعد من أبرز المبادئ المعتمدة في تحليل المحادثة، وهو مبدأ مفاده: أنّ المتحاورين يتعاونون فيما بينهم في المحادثة، وفق أربعة قواعد هي³¹:

- قاعدة الكمية: وهو أن يلتزم المتحدث بما هو ضروري ومطلوب في الحديث ، لا أكثر ولا أقل ، وذلك وفق مقتضيات الحديث ، دون إطناب أو أي تقصير.
- قاعدة النوعية: وهو التزام المتحدث بما يراه صادقا ومفيدا للحديث ومدعوم بالحجج ، وتجنب الكذب أو ما هو مشكوك في صحته.
- قاعدة الملاءمة: وهو التزام المتحدث بما يتوافق مع سياق الكلام ، من منطلق " لكل مقام مقال " و " لكل حدث حديث " ، وتجنب ما يخالف الموقف الكلامي من سياق ، أو لا يخدم الموضوع.
- قاعدة الأسلوب (الطريقة): وهو أن يلتزم المتحدث في كلامه بأسلوب واضح ومنظم ، ليتوافق مع حدود الفهم لدى المتلقي ، وتجنب اللبس والغموض.
- الأفعال الكلامية: هي نظرية تداولية أسسها "جون أوستين" وطورها تلميذه "جون سول" مفادها أن لكل فعل (ملفوظ) ثلاث مستويات:³²
- الفعل التلفظي (فعل القول): هو الفعل الذي ينطق كما هو في الجملة ، أو هي الأفعال التي تُقال وتُفهم بمعناها القاموسي ، كأفعال الإخبار والتأكيد مثل: سأغلق النافذة ، يعني نطق الفعل وفهم معناه كما هو في الجملة ، وهو الإغلاق.
- الفعل الانجازي: هي أفعال تحمل في ذاتها قوة انجازية ، أو هي ما يحمله القول من قصد (النية أو الغرض من الكلام) كأفعال الأمر ، أفعال الوعيد أو الطلب أو الشكر.
- الفعل التأثيري: هي الآثار التي تتركها الأفعال وتحدثها في المتلقي (الاقناع التحفيز ، التحقير ، الذم...).
- الضمنيّات أو المضمهرات: "هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة لكن للسياق دخلا في تحديدها"³³ ؛ أي ما يفهم من القول من معاني دون التصريح بها لفظا استنادا الى السياق والمعرفة المشتركة بين المتحدثين.
- التهذيب اللغوي: هو استراتيجية خطابية ، ومبدأ تداولي ، يُنظم السلوك اللغوي للأفراد ، ويعتمد على مراعاة وجه المتحدث أو السامع ، من خلال تلطيف أفعالهم اللغوية ، مثل: كلمات الاحترام واللباقة ، كاحترام المقام الاجتماعي ، والرتب ، مثل "سيدي " ، "سيادة الرئيس " ، " معالي الوزير " ، أو استعمال كلمات لطيفة مثل "من فضلك أعطيني قلما" ، بدلا من "أعطيني القلم" بأسلوب مباشر. ويُعتبر عنصر التهذيب

اللغوي عنصراً أساسياً في تحليل المحادثة ، لفهم كيفية بناء العلاقات الاجتماعية من خلال اللغة ، وقد طور هذا المبدأ "براون وليفنسون" انطلاقاً من مبادئ الفلسفة الأخلاقية ، التي تعتبر المحادثة قيمة ومعطى أخلاقياً ، وتعتبرها أيضاً لقاءً تفاعلياً وأخلاقياً أكثر من تواصلٍ بين ذاتين متحاورتين³⁴ ، ونجد "إيمانويل ليفانس" يقول في هذا الصدد: "الوجه هو ما يخاطبني أولاً دون كلام ، ويفرض عليّ مسؤولية قبل أن أتكلم ، كل محادثة تبدأ من اعتراف أخلاقي بالآخر"³⁵ ، فلا يكتمل الحوار ولا تتحقق مقاصده دون مراعاة وجود الآخر ككيان بشري يفرض مسؤولية أخلاقية أثناء التحوار معه ، واختيار الطرق والكلمات الأنسب للتعامل معه ، " فالحوار لا يقاس بما يقال ، بل بمدى الاستجابة الأخلاقية لوجه الآخر ، كل خطاب في جوهره ، نداء مسؤولية"³⁶ ، فأساس الحوار الإنساني الناجح هو التهذيب اللفظي ، ومراعاة المقام والسياق ، والتعامل الأخلاقي الذي يقر بوجود الآخر كشريك فاعل في هذا التفاعل التواصلي.

2.2 خصائص المحادثة وفق التحليل التداولي

تتميز المحادثة من خلال المنظور التداولي بمجموعة من الخصائص وهي:³⁷
- ديناميكية: ليست جامدة تتسم بالمرونة ، فتتغير حسب متطلبات السياق و ردود الموقف الكلامي.

- **تفاعلية:** أساسها التناوب ، وتقوم على تبادل الأدوار (المتحدث و السامع).
- **تفاوضية:** يتفاوض المتحدثين فيها عن المعنى والمقاصد فكل محادثة تُنتج داخل بنية اجتماعية ، لكن المتحدثين لا يكتفون بإعادة إنتاجها ، بل يفاضون المعاني ويتجاوزونها أحياناً ، فلا تأتي المعاني مصرحة ومسلم بها دائماً ، وإنما في التداولية تتجاوز المعاني حدود القول لأغراض أخرى تُنتج وفق المقام الخطابي.
- **ضمنية :** وهي خاصية جوهرية تعتمد على ما يفهم أكثر مما يقال بصريح اللفظ .

3 نحو مقارنة تكاملية بين التداولية والسوسiolسانيات في تحليل المحادثة

إنّ محاولة الجمع بين المقاربة التداولية ، والمقاربة السوسiolسانية في تحليل المحادثة ، من بين الاهتمامات التي تحاول تجاوز الأحادية المنهجية لتحليل المحادثات ، فبينما تركز التداولية آفاق بحثها ، وتصب كل اهتمامها على البعد المقامي ، والتواي التواصلية للمتحدثين ، والإلهام بكل سياقات الحدث الكلامي ، نجد السوسiolسانيات تهتم بسياقات

التفاعل الاجتماعيّة، والثّقافيّة، وتنوع المتغيرات، التي تؤثر في تشكيل بنيّة الخطاب وتوجيهه.

فالمعطى التّداولي، يهتم بمحاولة فهم كيفية انتاج المعاني، وبنائها داخل المحادثة، وكيفية تفاوض الأطراف المتحاورّة على الفهم الدقيق، والتأويل الصّحيح للكلام، بناءً على السياق اللّحظي، والبعد المقصدي، ومستويات الإيحاء، والتلميح، والسّعي وراء المضر من المعاني، أما المعطى السوسيولساني يهتم بالمحددات الاجتماعيّة مثل: (الطبقية، السن، والنوع)، وغيرها من المحددات التي تُشكل الخلفيات الأساسيّة لاستعمال اللّغة، أو تتجسد في السلوك اللّغوي، وتهتم بمدى تأثير هذه المتغيرات، والمحددات على التفاعل، وتحديد أنماطه التّواصليّة المختلفة.

إنّ دمج هذين المعطيين، يجعلنا نتوصل الى مقارنة المحادثة مقارنة مزدوجة، باعتبارها شكلاً تواصلياً، مُوطراً في بنية اجتماعيّة، تُبنى فيها المعاني وتُنتج وفق آليّات تداوليّة، وتبقى خاضعة للمحددات الاجتماعيّة والثّقافيّة، التي تفرض من خلالها أنماطاً تعبيريّة للقول وتحدد من خلالها آفاق التّأويل الممكنة.

ومن خلال هذين المعطيين، تبرز لنا أهميّة مقارنة التفاعل التّواصلي، بوصفها اتجاهاً يحاول الرّبط بين ميكانيزمات الفعل الكلامي، من منظور اللّسانيّات التّداوليّة، وبين البنى الخطابية المتولدة من متغيرات اجتماعيّة، ولسانيّة من منظور اللّسانيّات الاجتماعيّة.

إنّ المزوجة بين المعطى التّداولي الذي يهتم ببنية المقاصد وشروط تحقق الفعل الكلامي، والمعطى السّوسيولساني الذي يجسد أبعاد الهوية والتفاعل الرّمزيّ، تتيح بناءً تصوّر مفاهيميّ أكثر شمولاً لمسمّى المحادثة، باعتبارها فعلاً تواصلياً مشبّعاً بالدلالة، وحاملاً لتمثّلات الفرد وانتمائه وتفاعله ضمن الجماعة.

4 نتائج المقاربتين

توصلنا من خلال مقارنة المحادثة، وفق المعطيين التّداولي والسّوسيولساني، التّوصل إلى استخلاص بعض النتائج وهي:

- إنّ المحادثة وإنّ بدت كممارسة يومية للسلوك اللّغوي، إلّا أنّها تحظى بمكانة بالغة الأهمية في حقل المعرفة الإنسانيّة، وما أنتجت من تخصصات وحقول علمية، وعلى وجه التخصيص اللّسانيّات التّداوليّة واللّسانيّات الاجتماعيّة.

- المحادثة ليست مجرد حدث كلامي يتم فيه تبادل الخبرات والأخبار ، بل هي نسقٌ تواصلِيٌّ معقدٌ ، يجمع بين المتناقضات ، فيتداخل فيه ما هو ذاتي بالاجتماعي ، والبنوي بالمقامي ، والصريح بالضماني.
 - ومن خلال استحضار المعطى التداوليّ والسوسiolسانيّ في تحليل المحادثة ، نتمكن من تجاوز النظرة الأحادية للغة ، من خلال تعدد زوايا التحليل المتاحة والممكنة ، من أجل فهم أعمق للتواصل التفاعليّ والإنسانيّ.
 - يمكن التسليم بأنّ المحادثة تتولد من مقارنة ، تجمع بين البعد المقامي التداوليّ (تنظيم الأدوار ، مقاصد الخطاب...) ، مع البعد المؤسسي السوسiolساني (الرتبة الاجتماعية ، السلطة والهيمنة...).
 - إنّ المقاربة التكاملية لهذين المعطيين ، يساهمان في تطوير نظرية المحادثة ، ودعّمها بآليات تحليل أكثر دقةً ، وحصافةً ، وأكثرُ شموليّةً.
 - المحادثة ، معطى ديناميكيّ وحيويّ ، ونمط تفاعليّ وأخلاقيّ أكثر من تواصلِيّ.
 - قد أظهر الجمع بين المقاربتين- التداوليّة والسوسiolسانية ، أنّ المحادثة تُبنى في قلب تفاوض دائم على السلطة ، والمعنى ، والمكانة الاجتماعية ، وهو ما يفسح المجال أمام قراءة متعددة الأبعاد لهذا الفعل اللساني المُمارس يوميًا. فالسلوك اللغوي للمحاورين لا يُعبّر فقط عن كفاءتهم التداوليّة ، بل يعبر أيضًا عن خلفياتهم الاجتماعية ، وتموقعهم داخل الحقل الرمزيّ للغة.
- خاتمة:

يتضح من خلال هذه الورقة البحثيّة ، أنّ مفهوم المحادثة لا يتوقف عند حدود التواصل البشريّ الآنيّ والمباشر ، بل يتجاوزها ليشكّل فعلاً تواصلِيّاً مركّبًا ، يتداخل فيه البعد التداولي مع المعطى السوسiolسانيّ ، حيث تصبح المحادثة مجالاً لإبراز المقصدية ، والتفاوض على المعنى ، كما تعكس تمثلات اجتماعيّة ، وهويّات لغويّة متغيّرة. فالمحادثة ليست فقط تبادلًا لغويًا ، وإنّما هي ممارسة اجتماعيّة مشروطة بسياقها ومقامها وموقع أطرافها داخل البنية الاجتماعية. ومن ثمّ ، فإنّ دراسة المحادثة تستوجب مقارنةً مزدوجةً تأخذ بعين الاعتبار أليّات التفاعل ، وأفعال الكلام من جهة ، والبُعد الاجتماعي-الهويّاتي للغة من جهة أخرى ، وبهذا المعنى ، تغدو المحادثة تجلّ لخطاب تفاعليّ يُنتج المعنى داخل شروط استعماليّة ،

واجتماعية خاصة ، ويعكس في الوقت ذاته البعد التداولي للغة ، بوصفها فعلاً لا يُختزل في القول فحسب ، بل في الأداء والانتفاء والتموقع داخل الحقل الاجتماعي.

مصادر البحث ومراجعته:

- حسن بدوح، المحاورة: مقاربة تداولية ، عالم الكتب الحديث: إربد ، الأردن ، 2012.
- سعيد بن كراد ، استراتيجيات التواصل بين اللفظ والإيماء ، مجلة علامات في النقد ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، العدد 21 ، 2004.
- جون سورل ، أفعال الكلام ، ترجمة: محمد جلوي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2012.
- جون سورل ، الفعل الكلامي: بحث في فلسفة اللغة ، ترجمة: إسماعيل المصدق ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2003.
- خليفة الموساوي ، "تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأديب" ، مجلة اللسانيات العربية ، جوان 2021 ، مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية. <https://www.academia.edu>.
- غريباس ، البنات الدلالية: من نظرية المعنى إلى تحليل الخطاب ، ترجمة: سعيد بنكراد ، منشورات الاختلاف ، الدار البيضاء ، 2003.
- فردينان دي سوسير ، محاضرات في اللسانيات العامة . ترجمة: شكري عياد ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2006.
- كاترين كيربرات أوريكيوني ، التفاعلات الكلامية . ترجمة: حسين غزالة. دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2000.
- كاترين كيربرات أوريكيوني ، "تحليل المحادثات والتفاوض المحادثي". مجلة *Enjeux de la Communication* ، العدد 1 ، 2004. <https://www.persee.fr>.
- محمد حمراوي قضايا تحليل المحادثة . محاضرات في تخصص لسانيات عامة ، مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر . على الرابط. <https://www.scribd.com>.
- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي، الطبعة الأولى ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2025.
- نعمة دهش فرحان الطائي ، مقاربات سوسيولسانية ، ط1 ، الدار المنهجية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2016.

- نوارة بوعبيد ، محاضرات في علم اللغة الاجتماعي: مقدمة لطلبة السنة أولى ماستر تخصص علوم اللسان ، جامعة عبد الرحمان ميرة ، بجاية ، الجزائر 2011. 2012.
- هانز جورج غادامير ، الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية ، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح. دار أويا للطباعة والنشر ، طرابلس ، 2007.
- هبة الجندي ، "مفهوم التواصل" ، موقع حياتك ، 2 ماي 2025 ، <https://hyatok.com/> مفهوم التواصل.
- يورغن هابرماس ، نظرية الفعل التواصلي ، ترجمة: فؤاد زكريا ، دار التنوير ، القاهرة ، 2008.
- إيمانويل ليفانس ، الكل واللامتناهي: مقال في الظاهراتية الغيرية ، ترجمة: منذر عياشي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2001.

مصادر باللغة الأجنبية

Kerbrat-Orecchioni, Catherine. *La Conversation*. Collection Mémo. Paris : Seuil. 1996

مصادر إلكترونية بدون مؤلف

- تحليل المحادثة ، موقع <https://fastercapital.com/arabpreneur> .
 تحليل المحادثة ، دليل شامل. "عبر موقع <https://fastercapital.com/arabpreneur> : حول اللغة الرمزية .
<http://www.bibalex.org/libraries/presentation/static/sign/20language.pdf>

الهوامش والإحالات:

- ¹ ينظر: فردينان دي سوسير ، محاضرات في اللسانيات العامة ، ترجمة: شكري عياد ، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2006 ص 25-26.
- ² ينظر : المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- ³ ينظر: حول اللغة الرمزية ،
<http://www.bibalex.org/libraries/presentation/static/sign/20language.pdf> ، تاريخ الدخول 2025/08/06 ، بتوقيت 16:29 د.
- ⁴ حسن بدوح ، المحاورة : مقاربة تداولية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، 2012 ، ص 2.
- ⁵ سعيد بن كراد ، استراتيجيات التواصل بين اللفظ والإيماء ، مجلة علامات في النقد ، جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية ، العدد 21 ، 2004 ، ص 11.
- ⁶ جون سورل ، أفعال الكلام ، تر: محمد جلوي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2012 ، ص 55.
- ⁷ يورغن هابرماس ، نظرة الفعل التواصلي ، تر: فؤاد زكريا ، دار التنوير ، القاهرة ، 2008 ، ص 94.

- ⁸ ينظر: هبة الجندي، "مفهوم التواصل"، موقع حياتك، 27 ماي 2025، <https://hyatok.com/>، بتوقيت: 15 سا 15د.
- ⁹ ينظر: محمد حمراوي، قضايا تحليل المحادثة، محاضرات في تخصص لسانيات عامة، مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر، ص9، على الرابط: <https://www.scribd.com> بتاريخ: 2025/08/15، على الساعة 18 سا و39د.
- ¹⁰ ينظر: تحليل المحادثة، دليل شامل عبر موقع: <https://fastercapital.com/arabpreneur> بتاريخ: 2025/08/02 بتوقيت 12 سا و20د.
- ¹¹ ينظر: 8، Seuil، Paris: Kerbrat-Orecchioni, Catherine. *La Conversation*. Collection Mémo. 1996 ص 76.75.
- ¹² ينظر: فريق تحرير موقع آثار2، اللسانيات الاجتماعية، على الرابط: <https://www.2thar.com/2024/08/emergence-sociolinguistics.htm>.
- ¹³ ينظر: نواره بوعباد، محاضرات في علم اللغة الاجتماعي: مقدمة لطلبة السنة أولى ماستر تخصص علوم اللسان، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر 2011. 2012.
- ¹⁴ ينظر: المرجع السابق.
- * الجندر: مصطلح يُستخدم للإشارة إلى الهوية الاجتماعية والثقافية للنوع، وهو يميز بين الصفات والسلوكيات والأدوار المتوقعة من الذكور والإناث داخل مجتمع معين، بخلاف الجنس البيولوجي الذي يُحدد بالصفات الجسدية. ويُعد الجندر مفهوماً بنائياً يتشكل من خلال اللغة، والثقافة، والتنشئة الاجتماعية.
- ¹⁵ ينظر: فريق تحرير موقع آثار2، اللسانيات الاجتماعية، مرجع سابق.
- ¹⁶ ينظر: حسن بدوح، المحاورة، مرجع سابق، ص84-87.
- ¹⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص84-87.
- ¹⁸ ينظر: 1996، Seuil، Paris: Kerbrat-Orecchioni, Catherine. *La Conversation*. Collection Mémo.
- ص 34-35.
- ¹⁹ ينظر: تحليل المحادثة، على الرابط: <https://fastercapital.com/arabpreneur>.
- ²⁰ ينظر: المرجع نفسه.
- ²¹ ينظر: Catherine Kerbrat-Orecchioni, *La conversation*، مرجع سابق، ص 76.75.
- ²² ينظر: نعمة دهش فرحان الطائي، مقاربات سوسiolسانية، ط1، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، الاردن 2016، ص 101-102.
- ²³ كاترين كيربرات-أورشوني، "تحليل المحادثات والتفاوض المحادثي" *مجلة Enjeux de la Communication*، العدد 1، 2004، ص 201-223، على الرابط: <https://www.persee.fr>. (سنة مترجمة).
- ²⁴ ينظر: 12، Seuil، Paris: Catherine Kerbrat-Orecchioni, *La conversation*.
- ²⁵ كاترين كيربرات أوريكيوني، *التفاعلات الكلامية*، ترجمة حسين غزالة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2000، ص 15.
- ²⁶ يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص 94.

- ²⁷ جون سورل ، الفعل الكلامي: بحث في فلسفة اللغة ، تر: اسما عيل المصدق ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت 2003 ، ص 67.
- ²⁸ يُنظر ، المرجع السابق ، الصفحة نفسها.
- ²⁹ غادامير ، هانز جورج ، *الحقيقة والمنهج: الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية* ، ترجمة: حسن ناظم وعلي حاكم صالح. دار أويا للطباعة والنشر ، طرابلس ، 2007 ، ص. 357.
- ³⁰ يُنظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2025 ، ص 30-32-35.
- ³¹ يُنظر حسن بدوح ، المحاورة ، مرجع سابق ، ص 161-162.
- ³² يُنظر المرجع نفسه ، ص 171.
- ³³ مسعود صحراوي ، مرجع سابق ، ص 35.
- ³⁴ يُنظر خليفة الموساوي ، تحليل المحادثة في ضوء نظرية التأديب ، مجلة اللسانيات العربية ، العدد: جوان 2021 ، مركز الملك عبدالله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية ، ص 255-256 ، على الرابط: <https://www.academia.edu/https://www.academia.edu/2025/08/02/بتاريخ> ، بتوقيت 13 سا و 43 د.
- ³⁵ إيمانويل ليفانس ، الكل واللامتناهي ، مقال في الظاهرانية الغيرية ، تر: منذر عياشي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ص 215.
- ³⁶ المرجع نفسه ، ص 215-216.
- ³⁷ يُنظر حسن بدوح ، المحاورة مقارنة تداولية ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الاردن ، 2012 ، ص 84.